

دولة الظلم لساعة ودولة الحق إلى قيام الساعة

بقلم: مواطن جنوبي

يا دولة الظلم اسمعي وارتدعي، فساعتك شارفت على الانقضاء ولا بدّ من قيام ساعة الحق. ما هذا الذي نراه ونسمعه، هل عادت الحرب؟ قالوا لا لقد شتم رئيس الجمهورية. والبلد على حافة الانهيار؟ قالوا لقد شتموا الشقيقة!! يا للهول، هل استفاق جمال باشا السفاح من سباته، أم أن ستالين ارتدى لباساً براقاً ووضع بسمة كاذبة على وجهه. رحمة الله على عهد الانتداب.

يوم كان جمال باشا وغيره يحكم ويظلم، لم يكن لبلادي جيشاً، ضباطاً وعسكريين قسموا على علم لبنان بشرفهم أن يحموه ويزودون عن كرامة أبنائه ويدحرون كل طامع بأرزه. أما اليوم، هل ترى جفت الضمائر أم طرح الشرف للبيع في سوق النخاسة!

لا، وألف لا، لن أصدق أن جيش لبنان أخوتي وأصدقائي قد باعوا قسمهم وشرفهم ورجولتهم بثلاثين من الفضة ووقفوا يتفرجون على جلادي أخوتهم وأبنائهم مكتوفي الأيدي.

كم كان مخزٍ ومؤلم ما بنته محطات التلفزة لكل العالم، برابرة وهمج ينهالون بالضرب على من هم مستقبل الوطن. شباب عزل سلاحهم هو كلمتهم الحقّة والتي كانت أمضى من السيف على أعناق هؤلاء المتواطئين فالتهبوا بالحقد والغضب والانتقام.

لم يحركني أبداً منظر هؤلاء، بئعي الكعك، باللباس المدني الذين انهالوا ضرباً على المعتمسين، إذ كلنا يعرف من هم، لمن ينتمون ومن أين جاؤا. ما راعني وأصابني كما أصاب كل لبناني وطني مخلص، هو أن يرتكب هؤلاء هذه الفظاعة على مرأى من جيش بلادي وتحت حماية بنادقه.

يا جيش بلادي العظيم، كلنا إيمان أنك لن تتحني لسلطة الذل والتسكع هذه. لقد منعوك من دخول جنوبك المحرر لتحتفل مع أبنائه بعرس التحرير بل راحوا يمعنون اضطهاداً وتكليلاً بأبنائه الصامدين الأبيين. لا يا جيشنا العظيم، إن سلطة الظلم هذه لن تستطيع سلبك عنفوانك وكرامتك. لا تخف فسوف يكون الجنوب مقبرة لهم.

ويطالعنا بعد هنيهة وزير للداخلية بمهارة، من وزارة ورثها، مع مجلس أمنه مختزلين كل السلطات، ليكشف لنا بحدائقته وذكائه الخارق مؤامرة على المواطنين والوطن، هو الذي لا ينام الليل ساهراً على أمنهم ووطنهم. وكأنه هو وحده وانسبائه ومن لف لفهم، هم الوحيدين الذين يفهموا القوانين ويفقهوا السياسة. وبالرغم من منظره العصري الذي ما زال يجتهد بإظهاره، وأفكاره المتحضرة المتقدمة التي يتحقق بها المشاهدين والسامعين، فهو لم يستفق بعد من نومه. ما زال يعتقد أننا ما زلنا في العهد العثماني.

ألم تلهمه حواسه الخارقة أو تخبره أجهزة أمنه البارعة أن سلطنة الباب العالي قد اندحرت إلى غير رجعة وأن عهد الانتداب قد ولى إلى الأبد!!

فنصيحة منك يا وارث الوزارة، إن كنت تبغي أن تدهشنا بذكائك ومقدرتك الخارقة فعليك أن تكون أكثر حنكة لتفبرك تهماً تقنع عقل الولد الصغير على الأقل. ولا عجب أن يختلط

عليك الأمر بين المؤامرة والمقاومة، فيوم كنا نقاوم لبيقي لبنان، كنت أنت تقاوم في المتارع والملاهي الليلية!! ولنا غنى بالتعريف عن ذلك فالكل يعرف.

وهذه الأجهزة الأمنية التي تدعي حفظ أمن المواطنين والحفاظ على سيادة الوطن، ألا يحير العقل كيف أنها سمعت شعارات التنديد بسوريا الشقيقة والتهجم على رئيس البلاد المسكين، ولكنها لم تسمع أبداً صوت المزارعين المحرومين لقمة عيشهم، صوت أصحاب المحلات التجارية، صوت بكاء أصحاب وسائقي السيارات العمومية والعمال العاطلين عن العمل والمواطنين الذين لم تدفع أجورهم منذ زمن وكل الذين يشكون بشكلٍ فاضح من التعدي على لقمة عيشهم من قبل العمال السوريين المفروضين علينا في وطننا!!!

وهل هناك تفسير مدهش كيف أن هذه الأجهزة الأمنية تُغرم مواطن مسكين يسعى وراء لقمة عيشه في نفس اللحظة التي تتكسر بها عينها عن المخالفات الفاضحة التي يرتكبها العمال (المخابرات) السوريين على الجهة المقابلة للطريق. فقد رأينا كلنا بأمر العين كيف يحدث هذا في كل يوم، من السيارات العمومية غير المرخصة إلى البائعين المتجولين، إلى مهربي البضائع والمحروقات والسلع والفواكه والخضار..... وهل تنتهي القائمة!!

أين أنت أيتها الدولة التي تتباهى بإحباط المؤامرات والمخططات التي تحبكيها في مخيلتك؟ أين أنت من تنظيم السير والطرق والبناء، وهل من سبيل لمنع الرشوات والفساد في مؤسساتك؟! فأين المياه والكهرباء والخدمات العامة، وأين الاقتصاد والبنى التحتية للمجتمع والدولة. كفاك كذبا ونفاق فقد سقط القناع وبانت الحقيقة.

قال لي أحد أصدقائي المغتربين خلال زيارة له للبنان بعد سنوات عدة على غيابه عن لبنان أن لبنان أنموذج عن بلد يقوم على شعب من دون دولة. معه كل الحق لأن الدولة

مشغولة عن وظائفها الأساسية من حماية المواطن إلى تأمين الظروف المعيشية المؤاتية له وتحسين النظام والاقتصاد، فهي مشغولة بتفتيل سواعدها لتقضي على ما تبقى من خميرة للوطن، شبابه. فيا للعار أن تعامل الأجهزة الأمنية شباب لبنان معاملة أبت قوات الاحتلال الإسرائيلية أن تعامل الفلسطينيين بمثلا.

فيا دولة الظلم السورية المحكومة من قبل همجي أجهزة المخابرات السورية التي صيتها غني بالتعريف عنها، إن كنت تعتقدين أنك بموقفك هذا وسياسة القمع والترهيب قادرة على تفرغ لبنان من ما تبقى من خيرة شبابه فأنت مخطئة. فتعسفك هذا لن يزيدنا إلا إصرارا على الصمود والمقاومة والتشبث بأرض الحضارة والتاريخ، بأرض الأباء والأجداد المرورية بدماء الشهداء الأبطال الأبرار ولنا فخر بذلك. وإنما نعلم ونؤمن في قرارة نفوسنا وقلوبنا أن معظم أبناء وطننا وأبناء جيشنا العظيم، ضباطاً وجنوداً، ما زال للشرف والوفاء عندهم منزلة ولن يترجعوا عن قسمهم تحت علم لبنان.

فنحن باقيين وأنت سنزولين، ولن يبقَ منك ولا حتى نقش على صخور نهر الكلب!
فلا بد من يوم قادم قريب بإذن الله، ستقلب فيه الطاولة على رؤوسكم. ولن ينتهي حكمكم وظلمكم فحسب، بل ستلاحقكم لعنة التاريخ وصرخات الألم والدعوات من قلوب الأمهات والأباء والشباب إلى قبوركم، وستطال بنيكم وبناتكم إلى آخر الدنيا. ولكم في التاريخ عبرة إذا كنتم أنكيا لتعتبرون.